وحذرهم عذاب الله وانتقامه وأنذرهم عاقبة ما كانوا عليه من
الكفر والضلال المبين ورآهم لا يزيدون على عرض الآيات إلا كفراً وعلى
الإنذار إلا استكباراً وعلى النصيحة إلا نبوّاً ولم يبق له مطمع فيهم
وعلم بالتجربة وطول الصحبة أنه لا يجيء منهم إلا الغيّ والضلال وأنّ
إيمانهم كالمحال الذي لا يدخل تحت الصحة أو علم ذلك بوحي من الله اشتدّ
غضبه عليهم وأفرط مقته وكراهته لحالهم فدعا الله عليهم بما علم
أنه لا يكون غيره كما تقول لعن الله إبليس وأخزى الله الكفرة مع علمك
أنه لا يكون غير ذلك وليشهد عليهم بأنه لم يبق له فيهم حيلة وأنهم
لا يستأهلون إلا أن يخذلوا ويخلّى بينهم وبين ضلالهم يتسكعون فيه
كأنه قال ليثبتوا على ما هم عليه من الضلال وليكونوا ضلّالاً وليطبع
الله على قلوبهم. فلا يؤمنوا وما على مثلهم يحق بذلك وأحق
كما يقول الأب المشفق لولده الشاطر إذا لم يقبل منه حسرة على ما فاته من
قبول نصيحته وحرداً عليه لا أن يريد خلاعته واتباعه هواه. ومعنى
الشدّ على القلوب الاستيثاق منها حتى لا يدخلها الإيمان. فلا يؤمنوا
جواب للدعاء الذي هو اشدد أو دعاء بلفظ النهي. وقد حملت اللام
في ليضلوا على التعليل على أنهم جعلوا نعمة الله سبباً في الضلال فكأنهم
أوتوها ليضلوا وقوله فلا يؤمنوا عطف على ليضلوا. وقوله ربنا
اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم دعاء معترض بين المعطوف
والمعطوف عليه. وقرأ الفضل الرقاشي أإنك آتيت على الاستفهام
واطمُس بضم الميم. قد أجيبت دعوتكما قيل كان موسى يدعو وهرون
يؤمّن ويجوز أن يكونا جميعاً يدعوان والمعنى أن دعاءكما مستجاب

فاستقيما

وما طلبتما كائن ولكن في وقته. فاستقيما فاثبتا على ما أنتما عليه من الدعوة
والزيادة في إلزام الحجة فقد لبث نوح في قومه ألف عام إلا قليلا
ولا تستعجلا قال ابن جريج فمكث موسى بعد الدعاء أربعين سنة. ولا
تتّبعانّ سبيل الذين لا يعلمون أي لا تتبعا طريق الجهلة بعادة الله
في تعليق الأمور بالمصالح ولا تعجلا فإن العجلة ليست بمصلحة
وهذا كما قال لنوح عليه السلام إني أعظك أن تكون من الجاهلين. وقرئ
ولا تتبعانِ بالنون الخفيفة وكسرها لالتقاء الساكنين تشبيهاً بنون التثنية
وبتخفيف التاء من تبع. وقرأ الحسن وجوّزنا من أجاز المكان
وجاوزه وجوّزه وليس من جوّز الذي في بيت الأعشى
وإذا تجوّزها حبال قبيلة لأنه لو كان منه لكان حقه أن يقال وجوّزنا
بني إسرائيل البحر كما قال كما جوّز السكّي في الباب فيتنق.
فأتبعهم فلحقهم يقال تبعته حتى أتبعته. وقرأ الحسن وعدوّا.
وقرئ أنه بالفتح على حذف الباء التي هي صلة الإيمان وإنه بالكسر على
الاستئناف وبدلاً من آمنت. كرر المخذول المعنى الواحد ثلاث
مرات في ثلاث عبارات حرصاً على القبول ثم لم يقبل منه حيث أخطأ
وقته وقاله حين لم يبق له اختيار قط وكانت المرة الواحدة كافية
في حال الاختيار وعند بقاء التكليف. آلآن أتؤمن الساعة في وقت
الاضطرار حين أدركك الغرق وأيست من نفسك قيل قال ذلك
حين ألجمه الغرق يعني حين أوشك أن يغرق وقيل قاله بعد أن غرق
في نفسه والذي يحكى أنه حين قال آمنت أخذ جبريل من حال البحر
فدسّه في فيه فللغضب لله على الكافر في وقت قد علم أن إيمانه لا ينفعه

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)